مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية . المجلد ٦٩ . العدد ٩٨ .

جامعة الاسكندرية

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

طبقة أصحاب المراثي في طبقات فحول الشعراء لإبن سلام "قراءة نقدية"

د. مجدي مرزوق محمد

دكتوراه في النقد والبلاغة عام ٢٠١٥

magdymarzouk76@gmail.com

٠١٢٢٩٥٤٤٢٧٦

توطئة[1]:

إن الرثاء هو الفن الملازم للمديح، ويكون تخليداً إذا عُني بتمجيد صفات الراحل وأعماله، وتعديد خصاله، وتسجيل مناقبه وإظهار لأثر فقده في الناس والمجتمع، حسب منزلته من قومه خاصة ومجتمعه عامة، وهو البكاء إذ يحدث عن الألم الذي يحس به الشاعر نحو الفقيد، من غير عناية بذكر الصفات والأعمال، وكثيراً ما يجمع الرثاء بين التخليد والبكاء.

وقد قسمه د. شوقي ضيف إلى ثلاثة ألوان كما يلي:

الندب[2]: وهو بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيئن الشاعر ويتفجع، إذ يشعر بلطمة مروعة تصوب إلى قلبه، فقد أصابه القدر في ابنه أو في أبيه أو في أخيه وهو يترنح من هول الإصابة ترنح الذبيح، فيبكي بالدموع الغزار وينظم الأشعار التي يبث فيها لوعة قلبه وحرقته.

التأبين: وليس التأبين نواحاً ولا نشيجاً، بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، فهو يعبر عن حزن الجماعة، وما فقدته في الفرد. سواء من منزلة سياسية، أو علمية، أو أدبية ويريد بذلك أن يسجل هذا التأبين في ذاكرة التاريخ حتى لا ينسى على مر الزمن.

العزاء: وهو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين؛ إذ نرى الشاعر ينفذ من حادثة الموت الفردية إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة، وإلى معان فلسفية عميقة. ومرد هذا كله أن الحياة ظل لا يدوم، وأصل العزاء الصبر ثم اقتصر في الصبر على كارثة الموت[3].

---

[1] مأمون بن محي الدين، البحتري دراسة نقدية حول فنونه الشعرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٩٩٤، ص١٣٦.

[2] د. شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف، القاهرة، طبعة رابعة، ١٩٨٧، ص٥.

[3] د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص٨٦.

وقد فرق قدامة بن جعفر بين المرثية والمدحة، بأن المرثية يذكر في لفظها ما يدل على أنها لهالك مثل (كان) و(تولى)، (وقضى نحبه)، وتبعه في ذلك ابن شيق وأضاف "وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة، مخلوط التلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً.

ويشترك قدامة بن جعفر مع د. شوقي ضيف في تعريف الرثاء وتقسيمه إلى ألوان ثلاثة: الندب – التأبين – العزاء.

وقد عرف العرب الرثاء في العصر الجاهلي، إذ كان الرجال والنساء يندبون موتاهم، ومن أشهر من بكت واستبكت في الجاهلية الخنساء في رثاء أخيها صخر[1].

والرثاء:[2] فينا هو التفجع على الميت، وإبداء الحزن على فراقه، وتصوير الخسارة التي نجمت من فقده.

ومن أجمل ما يعرض له د. شوقي ضيف في كتابه عن الرثاء ندب الناس وندب الدول، ومن ذلك قول لبيد ابن أبي ربيعه:

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع[3]

إذ نرى الموسيقا دالة على عاطفة الشاعر، في الفقد والتحسر والخسران.

وأما عن ندب الدول فمن أجمل ما عرض له البحتري في سينيته، حينما ندب إيوان كسرى وما بقى من أطلاله ورسومه، فوصفه وصفاً بليغاً، رثى في أثنائه صانعيه وندبهم، ومن قوله فيهم وفيه.

---

[1] د. بدوي طبانة، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، المقدمة.

[2] د. مصطفى عبد الشافي، شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، ١٩٨٣، الدار الجامعية، بيروت، لبنان.

[3] د. شوقي ضيف، الرثاء وألوانه، دار المعارف، طبعة رابعة، القاهرة، ص٢٧٤.

حضـــرت رحلـــي الهمـــوم فوجهـــ ـــت إلـــى أبـــيض المـــدائن عنســـى

أتســـلى عـــن الحظـــوظ وأســـى لمحـــل مـــن آل ساســـان درســـي

وقوله

وكـــأن الجرمـــاز مـــن عـــدم الإنـــ ـــس وإخلالـــه بنيـــة رمســـي

لـــو تـــراه علمـــت أن الليـــالي جعلـــت فيـــه مأتمـــا بعـــد عُرســـي

فالأبيات السابقة في رثاء الدول إضافة لفن الرثاء بألوانه السابق ذكرها والتي أفردها د. شوقي ضيف في كتابه "الرثاء".

ثم نمضي في ذكر شعراء الرثاء، الذي خصهم ابن سلام في طبقاته.

وابن سلام وُلد بالبصرة عام ١٣٩هـ، وقد عمر نحو من ثلاث وتسعين سنة وتلقى العلم عن كبار شيوخ العلم في عصره، كما تلقى عنه العلم تلامذة صاروا من كبار علماء عصرهم من أمثال: أحمد بن يحيى، وأبي حاتم، والمازني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين.

أما عن منهجه في كتابه "طبقات فحول الشعراء"[1]

فقد تناول من الشعراء الفحول من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين، وفي هذا يقول ابن سلام ففضلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين، فنزلناهم منازلهم، فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة، رهط كل طبقة متكافئين معتدلين، طبقات الشعراء الجاهلين، وطبقات الشعراء الإسلاميين، وشعراء القرى، وشعراء المراثي.

ونجد التقسيم إلى عشرة طبقات له مدلول آخر.

---

[1] محمد بن سلام الجمحي (١٣٩-٢٣١هـ)، طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، شرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجده، نوفمبر ٢٠١٠، المقدمة.

فيرى الدكتور "عثمان موافي"[1] رحمه الله، أن ابن سلام اتخذ العدد عشرة أساساً في تقسيم الشعراء إلى طبقات، بارتباط هذا العدد بالأصل العشري للأعداد، ومن المعروف في تاريخ الحضارة الإسلامية أن العدد عشرة يمثل وحدة عددية واحدة يعتمد عليها، حصر الأشياء والناس كثيرة العدد، وذلك بتقسيمها إلى مجموعات عشرية أو حزم عشرية، ويستول على ذلك باتخاذ هذه الوحدة العدد أساساً في تقدير بعض أنواع من الزكاة بربع العشر.

وقد قال ابن سلام عن منهجه مرتباً لشعراء المراثي:

"وصيرنا أصحاب المراثي بعد العشر الطبقات".

- ❖ أولهم متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، رثى أخاه مالكا.
- ❖ والخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن أمرئ القيس بن بهثة، رثت أخويها صخرا ومعاوية.
- ❖ وأعشى باهله – واسمه عامر بن الحارث بن رياح بن عبد الله بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن – رثى المنتشر بن وهب بن عجلان بن سلمة بن كراثة بن هلال بن عمرو ابن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن.
- ❖ وكعب بن سعد بن عمرو بن عقبة – أو علقمة – بن عوف بن رفاعة، أحد بني سالم بن عبيد بن سعد بن جلان بن غثم بن غني بن أعصر، رثى أخاه أبا المغوار.[2]

---

[1] د. عثمان سليمان موافي، دراسات في النقد الأدبي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣، ص١١٣-١١٤.

[2] محمد بن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني بجدة، نوفمبر، ٢٠١٠، ص٢٠٣-٢٠٤.

ونقف عند قصيدة سموها أم المراثي وهي مرثية متمم بن نويرة:

وقد قدمه ابن سلام في أوائل شعراء المراثي، السابق ذكرهم. ويكنى متمم بن نويرة بأبي نهشل رثى أخاه مالك بن نويرة، وكان قتله خالد بن الوليد بن المغيرة، حين وجهه أبو بكر، رضي الله عنه، إلى أهل الردة، بل زاد خالد على ذلك وتزوج إمرأة متمم. ويرى ابن سلام اختلاف الروايات في مقتل متمم بن نويرة، فمن الحديث ماجاء على وجهه، ومنه ما ذهب معناه علينا، للاختلاف فيه. وحديث مالك مما اختلف فيه، غير أن الذي استقر عند ابن سلام أن عمر أنكر قتله، وقام على خالد فيه وأغلظ له، وأن أبا بكر صفح عن خالد وقبل تأوله. [1]

وقد اختار ابن سلام بعضاً من أبيات الرثاء في قصيدة متمم بن نويرة التي قالها في رثائه لمالك قائلاً:

لعمري ومادهري بتأبين هالك ولا جزع مما أصاب وأوجعا[2]

وكان مالك بن نويرة شريفاً فارساً، وكان فيه خيلاء وتقدم، وكبرياء. والقصيدة سماها ابن سلام الجمحي بأم المراثي، وما هذه إلا لروعتها واحتوائها على عظيم المعاني والصفات.[3]

وقد ذكر القصيدة كاملة أبو زيد القرشي في جمهرته في الجزء الأول، وقد اخترت منها هذه الأبيات، فكل بيت بمثابة حديقة ورد تذهلك روعة أزهارها، ويشدك آسراً إياك أريج أزهارها، يقول فيها:

لعمري وما دهري بتأبين هالك ولا جزعاً مما ألم فأوجعا[1]

لقد غيب المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

---

[1] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، قرأة وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، نوفمبر، ٢٠١٠، ص٢٠٩.

[2] المرجع السابق ، ص٢٠٩.

[3] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب الغربي، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، ١٩٧٧م، ج١، ص١٦٨.

وماكـان وقافـا إذا الخيـل أحجمـت ولا طالبـا مـن خشـية المـوت مفزعـا

وأنـي متـى مـا أدع باسـمك لـم تجـب وكنـت حريـا أن تجيـب وتسـمعا

تحيتـه منـي وإن كـان نائيـا وأمسـى ترابـاً فوقـه الأرض بلقعـا

فـإن تكـن الأيـام فـرقن بيننـا فقـد بـان محمـودا أخـي حـين ودعـا

وكنـا كنـدماني جذيمـة حقبـة مـن الـدهر حتـى قيـل: لـن يتصـدعا

فلمـا تفرقنـا كـأني ومالكـا لطـول اجتمـاع لـم نبـت ليلـة معـا[٢]

فقد اختار متمم حرف العين لقافية الأبيات، المقترنة بالألف لشدة الوجد والأسى، والقافية من الحروف التي تخرج من الحلق، وكأن الشاعر يريد أن يسمعه أكبر حشد، فيشاركه الألم كل من القاصي والداني، لأنها تعطي جرساً موسيقياً، ينم على ألم الفراق.

ولما استشهد زيد بن الخطاب، دخل متمم على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال له: أنشدني بعض ما قلت في أخيك، فأنشده الذي يقول فيه.[٣]

وكنـا كنـدماني جذيمـة حقبـة مـن الـدهر حتـى قيـل: لـم يتصـدعا

فلمـا تفرقنـا كـأني ومالكـا لطـول اجتمـاع لـم بنـت ليلـة معـا[٤]

فقال له عمر: يا متمم لو كنت أقول الشعر لسرني أن أقول في زيد بن الخطاب مثل ما قلت في اخيك، قال متمم: يا أمير المؤمنين لو قتل أخي قتلة أخيك، ما قلت فيه شعراً أبداً: فقال عمر: يا متمم ما عزاني أحد في أخي بأحسن مما عزيتني به.

---

(١) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، دار المدني بجدة، ٢٠١٠، ص٢٠٩.

(٢) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، (حققه وضبطه علي محمد البجاوي)، ١٩٨١، نهضة مصر.

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، حققه د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص١٩٦.

(٤) ابن فرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٩، ص٢٩٩.

ومن تأثر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بمتمم فقال له عمر بن الخطاب "إنكم أهل البيت قد تفانيتم، فلا تزوجت عسى أن ترزق ولداً يكون فيه بقية منكم، فتزوج امرأة بالمدينة فلم ترضى أخلاقه لشدة حزنه على أخيه، وقلة حفله بها، فكانت تؤذيه، فطلقها وقال:

أقـول لهنـد حـين لـم أرضـى فعلهـا أهـذا دلال الحـب أم فعـل فـارك

أم الصـرم مـا تبغـى، وكـل مفـارق يسـير علينـا فقـده بعـد مالـك[1]

وتعدد قصائد متمم، واختلاف حروف الروي والقافية فمنها قافية العين، والراء، والكاف لأن فقدان الأخ هو المعين والسند في تحمل أهوال الحياة والشدائد .

ثم ننتقل الى الشاعرة الثانية في الرثاء وهي الخنساء كما سيأتي: [2]

"الخنساء" ٢٤هـ/ ٦٤٥م

وهي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان السليمية الشاعرة المشهورة، التي أجمع أهل المعرفة بالشعر أنه لم تقم قبلها ولا بعدها إمرأة مثلها في الشعر، وأكثر شعرها في رثاء أخويها صخر ومعاوية، وكانت قبل ذلك تقول الشعر وأدركت الإسلام وأسلمت، وإنما الخنساء لقب غلب عليها وهو الظبية. [2]

وحكى أن عمر بن الخطاب رآها وفي وجهها ندوب، فقال ما هذه يا خنساء قالت من طول البكاء على أخوي، قال لها أخواك في النار، قالت ذلك أطول لحزني، فإنني كنت أبكي لهما من الثأر وأنا اليوم أبكي لهما من النار. [3]

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني، مرجع سابق، ص٣٠٦-٣١١.

[2] ديوان الخنساء، مطبعة التقدم التجارية، الهيئة العامة، مكتبة الاسكندرية، ١٣٤٨هـ ،ص١٣.

[3] نفس المرجع السابق.

وقيل حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها الأربعة، وكانوا رجالاً فقالت لهم الخنساء يا بني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، وأنتم تعلمون ما أعد الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الأعداء، فإذا أصبحتم غداً سالمين إن شاء الله فأعدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين فإذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى مساقها، فتيمموا وطيسها وجادلوا رئيسها عند احترام خميسها فظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والقيامة. فلما دخل الصباح وقد أثرت فيهم نصيحتها تقدم كل واحد منهم وقال شعراً وقاتل حتى قتل، فلما بلغها قتلهم جميعاً قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا من ربي أن يجمعني معهم في مستقر رحمته. [1]

وتعددت قصائد الخنساء في رثاء أخويها صخر ومعاوية.[2]

وقد اختار ابن سلام في طبقاته بعض أبيات من قصائد الخنساء في رثاء أخويها صخر ومعاوية، فأما صخر فقتلته بنو أسد، وأما معاوية فقتله بنو مرة غطفان. فقالت في صخر كلمتها التي تقول فيها:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار[3]

وقالت في معاوية:

ألا مـــا لعينـــك أم مالهـــا؟ لقـــد أخضـــل الـــدمع ســـربالها[1]

أبعـــد ابـــن عمـــرو مـــن أل الشـــريد حلـــت بـــه الأرض أثقالهـــا

وقالت في صخر الكلمة الأخرى:

---

[1] نفس المرجع السابق.

[2] طه ابراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، القاهرة، ٩٣٧هـ، ص٨١.

[3] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، ترجمة محمود شاكر، دار المدني بجدة، نوفمبر، ٢٠١٠، ص٢١٠.

أمـــن حـــدث الأيـــام عينـــك تهمـــل وتبكـي علـى صـخر، وفـي الـدهر مـذهل[1]

ألا مـــن لعـــين لا تجـــف دموعهـــا إذا قلـــت أفشـــت تســـتهل فتجفـــل[2]

ومن اختيار ابن سلام في طبقاته لبعض الأبيات في قصائد مختلفة للشاعرة نجد منها قصائد قافية (الراء)، ومنها قافية (الهاء)، ومنها قافية (اللام)، والعين والسين، وهي قوافي قوية ذات جرس موسيقي، وهي حروف ذات مؤثرات حادة، لأن المصاب جلل (فهو ليس قريب أو صديق ولكنه أخ حميم).

وقد وضعها ابن سلام بين طبقات الشعراء الكبار في كتابه (طبقات فحول الشعراء) وهذا التفرد الذي اختصت به شاعرتنا في مجال الرثاء قد لفت إليها بعض المستشرقين.

فقد قام المستشرق الفرنسي دي كوبيه بترجمة ديوانها إلى الفرنسية عام ١٨٨٩م، كما قدم المستشرق الإيطالي غيريالى دراسة بالإيطالية عن حياتها وشعرها، وكذلك فعل المستشرق الألماني رودو كاناكيس، فقد أعد بحث عنها وعن مراثيها.

وقد كانت شهرتها بما برزت فيه من فنون الشعر في فن الرثاء فقد تميزت برقة العاطفة وسمو المشاعر، وروعة التصوير في إبراز جسامة المأساة، وحدة المعاناة. فكان إبداعها في شعر الرثاء الذي كان أهم ما برزت فيه وأجادته، وفيه تألقت إذ تعمل على تجسيم الأحزان. فهي تختزن في ذاتها وهجاً، من عواطف ملتهبة ومشاعر مكبوتة، تنطلق من التعبير الذاتي عن المواجع الإنسانية.

منحى ابن سلام وتذوقه الفني في شعر الخنساء

يشيد بجودة شعر متمم قائلاً "وبكى متمم مالكاً فأكثر وأجاد":[3]

---

[1] المصدر السابق ص٢١٠.

[2] الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء، دراسة واعداد سمير ابراهيم، أشرقت للنشر، القاهرة، ٢٠١٥، ص٢٤.

[3] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، شرحه محمود شاكر، دار المدني بجدة، ٢٠١٠، ص٢٠٩.

وعند الخنساء اختفت آراء ابن سلام وروحه، واقتصد مجهوده فيها على أن قال أنها بكت أخويها صخر ومعاوية، فقال: في صخر كلمتها التي تقول فيها، وذكر لها بيتاً:[1]

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وقالت في معاوية وذكر بيتا

ألا ما لعينك أم مالها؟ لقد أخضل الدمع سربالها

وهنا نجد أن ابن سلام لم يذكر القصائد كاملة ويبين هل القصيدة متعددة الأغراض؟ أو اتخذت لوناً واحداً وموضوعاً واحداً ألا وهو فن الرثاء ولم يذكر شيئاً عن الوحدة العضوية.

إلا أننا نجد أن كل ناقد بصير له ماله من جيد الآراء؟ وعليه ما عليه من المآخذ، ولما لا وقد وجدنا عند الخنساء بعض المآخذ فحين ننظر لقولها:

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

ثم تخيلت أن قائلاً قال لها: لقد ساويت أخاك بالهالكين من إخوان، فكيف أفرطت في الجزع عليه دونهم؟ فاحترست من ذلك بقولها: (البيت الثاني)

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي[2]

وهنا نجد موضع الإيغال في البيت الأول، وهو كون القافية تفيد الكلام معنىً زائداً بعد تمام معناه وصحته.

---

[1] محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي، ج١، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م، ج١، ص٩٨.

[2] ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير، تحقيق د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٤٨.

وقد تجنح الخنساء إلى غرض أخير غير الرثاء، وهو التسوية بين ممدوحين، فتأتي بمعان في مدحهما، ثم بعد ذلك ترجح أحدهما على الآخر، بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فتأتي لأجل الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية، تقول الخنساء، في أخيها وقد أرادت مساواته بأبيها، مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها حق الوالد في قولها:

جاري أباه فأقبلا وهما ... تبعاً وران ملاءة الحضر
وهما وقد برزا كأنهما ... صقران قد حطا إلى وكر
حتى إذا نزت القلوب وقد ... لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما ... قال المجيب هناك: لأدري
برقت صفيحة وجه والده ... ومضى على علوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه ... لولا جلال السن والكبر[1]

وهنا نجد الإيغال وهو أن الشاعر أوغل في الفكر، حتى استخرج سجعة أو قافية، تفيد زائد أعلى معنى الكلام، وأعظم ما وقع في هذا المعنى قول الخنساء:

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في راسه نار[2]

ومن معاني شعر الخنساء أخذت منه شاعرات أخريات.

فحين نجد الخنساء تقول في أخيها

أعين جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى
طويل النجاد رفيع العماد ... ساد عشيرته أمردا

قد أخذته امرأة بني جسم، ترثي أخوين لها، أصيبا يوم حنين فتقول:

---

[1] المرجع السابق، ص٣٤٥.
[2] المرجع السابق، ص٣٤.

أعينى جودا على مالك معاد العلاء ولا تجمدا[1]

وقد شهدت الخنساء سوق عكاظ الذي كان يأتيه الشعراء، فيعرضون فيه أشعارهم على النابغة الذبياني، فزاحمت من حضرها من الشعراء، وقال لها النابغة مرة. وكان قد أنشده الأعشى وحسان بن ثابت، والله لولا أن أبا بصير (يعني الأعشى) أنشدني أنفاً، لقلت إنك أشعر الجن والإنس.

وقد اشتهرت الخنساء ببكاءة بني سليم، وما وصل من شعرها يعين على تقبل هذه التسمية، إذا جل قوافيها يرشح بالرثاء الموجع، والبكاء الحار، والدموع البوادر، ولاسيما المنحدرة منها على صخر، بجودة وبذله وحلمه.

وقد عدّها أبي سلام في طبقة أصحاب المراثي، وجعلها تلو متمم بن نويرة أول أربعة شعراء في هذه الطبقة وذهب بعضهم إلى أنه لم تجيد امرأة الرثاء إلا الخنساء ، وقال عنها المبرد، كانت الخنساء وليلى[2] بائنتين في أشعارهما، متقدمتين لأكثر الفحول[3]. ورب امرأة تتقدم في صناعة، وقل ما يكون ذلك وقيل بجريد، من أشعر الناس؟ قال: أنا أولاً والخنساء، قيل: لم فضلتك؟ قال: لقولها:

إن الزمان وما يغني له عجب ابقى لنا ذنباً واستؤصل الرأس

إن الجديد في طول اختلافهما لا يفسّدان ولكن يفسد الناس[4]

أراء النقاد في الخنساء:

ابن قتيبة: لقد أدخلت الخنساء صفات جديدة في المرثية من الصعب أن تحدده، لأنه لم يصل إلينا شيء تام من قصائدها، إلا ما ورد عن المهلهل، وهو في مجمله يقرب من طريقة الخنساء.[1]

---

[1] ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد محي الدين، ج٤، دار التراث، القاهرة، ص١٢٠.

[2] د. ناهد أحمد الشعراوي، شعراء بني عامر الأمويون، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٢، ص١١٥، ١١٦.

[3] ديوان ليلى الأخيلية، جمعة خليل العطية، بغداد، دار الجمهورية، ١٣٥٧هـ، ص٦٠٨.

[4] الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء، دراسة واعداد سمير إبراهيم، أشرقت للنشر، القاهرة، ٢٠١٥، ص٢٤١.

لكن الأصمعي يقدم ليلى الأخيلية على الخنساء، وكذلك أبو زيد الأنصاري يذكر أن ليلى أغزر بحراً، وأكثر تصرفاً، وأقوى لفظ.[٢]

كرنكوف: "ألاحظ على مراثيها القصر وصدق التفجع والحزن، ونكاد نقطع بأن قصائدها ألهمت عدداً كبيراً من شعراء المراثي المتأخرين، ومنهم ابنتها عمرة".[٣]

بطرس البستاني: "لعل الغلو أظهر خاصة في الخنساء، فهي مغالية فيما نعت به صخراً، ورثاء الخنساء عاطفي بحت، ولا يشعر به تكلف".[٤]

أكرم البستاني: يقول: "فهي شاعرة أكثر منها ناظمة وهو ما يروقنا فيها".[٥]

د. بنت الشاطئ: أخذت على الخنساء قصر قصيدتها وخلو شعرها من الحكمة أو قلتها فيه.

مصطفى صادق الرافعي: "ولا يهو لنك كثرة أسماء النساء اللاتي قلن شعراً فعمود الشعر عندهم الرثاء، وليس لهن إلا المقاطيع والأبيات القليلة، ولم تبني منهم إلا الخنساء وليلى الأخيلية، وما شعرت الخنساء حتى كثرت مصائبها.[٦]

المستشرق كوستان فاوف كرنياوم: "وإذا كانت المراثي قد نشأت من نياحات النساء، إلا أن هذا الفن إنما بلغ أوجه في مراثي الخنساء، فقد جعلت قمم الجبال تتدحرج بداعي وفاة أخيها، والنجوم تهوي، والأرض تهتز، والشمس تظلم".

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق: د. محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨، ص١٩٧.

(٢) حماسة البحتري،كمال مصطفى، مصر، ، مكتبة التجارية الكبرى١٩٢٩، ص٢٧٠.

(٣) المرجع السابق ص٢٧١.

(٤) حماسة البحتري،كمال مصطفى، مصر، ١٩٢٩، ص٢٧١.

(٥) المرجع السابق، ص٢٧١

(٦) د. ناهد أحمد الشعراوي، الاغتراب والحنين في شعر مالك بن الريب التميمي، دار المعرفة الجامعية، ص١٧٠.

ولكن أبو تمام فضل عليها ليلى الأخيلية، وضرب لها مثلاً في الرثاء إذ يقول:

فكأن قسا في عكاظ يخطب وكأن ليلى الأخيلية تندب

الدكتور يوسف خليف:

يرى دكتور يوسف خليف أن ابن سلام لم يوفق أن يحقق لكتابه بناء منهجياً متكاملاً حيث أن عملية استقصاء الشعراء لم تكن كاملة تفتقد بعض الشعراء المخضرمين الذين تاهت معالمهم الفنية.[1]

الأستاذ فاروق شوشة:

وقد كتب الأستاذ فاروق شوشه في مجلة العربي تحت عنوان: (الشاعرة التي بكت أخويها ولم تبك أبنائها الأربعة)

أشار فيما كتب إلى بكائها على أخويها، وعدم بكائها على أبنائها الأربعة، مشيراً إلى تعجب الدكتورة بنت الشاطئ من رثائها لأخويها دون أبنائها. ووصفها ذلك بأنه: انحراف في طبيعة تماضر جعل عاطفة الأخوة فيها تطغى على عاطفة الأمومة، التي هي جوهر الأنوثة.

وانتهى الكاتب في هذا المضمون إلى أنه بقي لنا بكاء الخنساء ورثاؤها لأخويها.

أما صمتها الشعري عن استشهاد أبنائها الأربعة، فقد دخل في عداد المسكوت عنه في شعرنا العربي.

وقد اكتفى الكاتب في هذا المجال بذكر أن بكاء الخنساء أخويها لأنهما ماتا على الجاهلية.

أما عدم بكائها لأبنائها الأربعة، فلأنهم استشهدوا في سبيل الله مجاهدين دفاعاً عن الإسلام، فكيف تبكيهم شعراً. وقد شرفهم الله بالشهادة.

---

[1] ديوان أبي تمام، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ١٩٢٢م، ج١، ص١٣٤.

سمات الأسلوب في قصائد الخنساء:[1]

يتميز الأسلوب برهافة الحس، وصدق العاطفة، والبعد عن التهويل الكاذب، والأسلوب يتنوع بين الخبر والإنشاء للوصف والتقرير. وكذلك ظاهرة التكرار على وتيرة واحدة للحزن.

والألفاظ سهلة معبرة عن عاطفة الحزن والأسى واللوعة، واختيار الصور المعبرة عن عواطفها ومشاعرها، وتعتمد على الاستعارة والكناية والمجاز، والموسيقى ظاهرة في الوزن والقافية والتصريع وحسن التقسيم، والمعاني والأفكار واضحة، ليس فهيا غموض ولا تعقيد، وشخصية الخنساء تكشف عن طبيعة المرأة التي تستنجد في الأحزان بالدموع الغزيرة.

ويبدو أثر البيئة في النص من خلال كثرة الحروب والغزوات، وما يترتب عليها من كثرة القتلى، واستخدام السيوف في الحروب.

كما تتضح قوة الروابط الأسرية التي تجمع بين الأفراد في العصر الجاهلي، صفات الكرم والجودة والشجاعة والمروءة من الصفات التي يعتز بها العربي.

ثم ننتقل إلى الشاعر الثالث في الرثاء وهو أعشى باهلة.

أعشى باهلة:

هو أعشى باهلة، واسمه عامر بن الحارث بن رياح بن أبي خالد من ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وقيل هو من بني عامر بن عوف بن ثعلبة بن وائل بن معن و"معن بن أهر" هو أبو "باهلة" هي أمهم، امرأة من همدان. نسب بنو معن إليها. وهذا الأعشى شاعر جاهلي مجيد.

---

[1] ديوان الخنساء، أشرقت للنشر، القاهرة، ٢٠١٥، ص٢٤.

ويروي ابن سلام الجمحي قائلاً في طبقاته، وأعشى باهله، رثى المنتشر بن وهب الباهلي، قتيل بني الحارث بن كعب فقال في كلمته:

لا يـأمن النـاس ممسـاه ومصـبحه ... مـن كـل أوب، وإن لـم يغـز، ينتظـر
لا يغمـز السـاق مـن أيـن ولا وجـع ... ولا يـزال أمـام القـوة يقتفـر
إنـي أشـد حزيمـي، ثـم يـدركني ... منـك البـلاء، ومـن آلائـك الـذكر
فـإن جزعنـا، فمثـل الشـر أجزعنـا ... وإن صـبرنا، فـإن معشـر صـبر
إمـا سـلكت سـبيلاً كنـت سـالكها ... فاذهـب فـلا يبعـدنك الله منتشـر
لا يصـعب الأمـر إلا ريـث يركبـه ... وكـل أمـر سـوى الفحشـاء يـأتمر[1]

وقد اختار ابن سلام الستة أبيات السابق ذكرها من القصيدة، وعدد أبياتها اثنان وثلاثين بيت.

وقد اختار ابن سلام الجمحي هذه القصيدة لأنها من المراثي المعدودات، يرثي بها أعشى باهلة أخاه لأمه (المنتشر بن وهب)، وينتهي نسبه إلى سعد بن قيس بن عيلان، وكان المنتشر رئيساً. وكان من خبر مقتله ما رواه البغدادي في الخزانة.[2]

ويعقب ابن سلام في روايته للقصيدة،[3] فنجده يقول أن القصيدة قيلت في (المنتشر بن وهب) ثم نجد في رواية أخرى أن القصيدة في رثاء دعجاء أخت المنتشر، وقيل لليلى أخته. وهذه رواية أخرى كما ذكرها اليزيدي في أماليه. وهنا نجد تقصي ابن سلام لجميع الروايات لتحقيق القصيدة لقائلها.

ثم نرجع للرواية الصحيحة لخبر مقتل (المنتشر بن وهب) عن جابر أخو بن فراص، وكان بنو نفيل عمرو بن كلاب أعداء له، فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب – وطريقته عليهم،

---

[1] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، السفر الأول، دار المدني بجده، نوفمبر ٢٠١٠، ص٢١٠-٢١١.

[2] عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، حققه عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨..

[3] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص٢١٣.

وكان من حج ذا الخلصة أهدى له هدياً يتحرم به ممن لقبه فلم يكن مع المنتشر هدى، فسار حتى إذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلمته الذين كانوا معه، فصعدوا في شعب بن النباع، فقالوا في غار فيه وكان الأقيصر يتكهن – وأنذر بن نفيل بالمنتشر بني الحرث بن كعب فقال الأقيصر. النجاء يا منتشر، فقد أتيت: فقال: لا أبرح حتى أبرد، فمضى الأقيصر وأقام المنتشر، وأتاه غلمته بسلاحه وأراد قتالهم فأمنوه، وكان قد أسر رجلاً من بني الحرث بن كعب يقال له هند بن أسماء فأسه أن يفدي نفسه فأبطأ عليه، فقطع أنمله، ثم أبطأ فقطع منه أخرى، وقد أمنه القوم ووضع سلاحه، فقال (أي هند بن أسماء): أتومنون مقطعاً، والله لا أوفيه ثم قتل وقتل غلمته.

وقد صور الأعشى كيف بلغه نعي أخيه، وماضر ذلك في نفسه، وابنه بما أشاع من جوده زمان الحرب والأزمات، وذكر كيف كانت إبله تفزع منه، لما كان يفجؤها به من نحرها للضيف، ومدحه بعظم آثاره وبإتزانه، وغلبته لعدوه، ووفائه لصديقه، ومهاراته في الحرب والكسب، وقدرته في المحافل، وبأنه عماد قومه، وبشدة خلقه وصحة بنيته وخطاره بنفسه في الأسفار، وادمانه للغزو، وزهادته في الطعام والشراب، وعفته ثم بكى ما كان بينهما من اجتماع فرقة الزمان، وأبدى جزعه لهول النائبة التي لا يستطيع لها صبراً، ثم دعا على قائله، وهو هند بن أسماء، وسجل لبني نفيل خيانتهم، وغدرهم بالمنتشر، وقد كان قومه رأساً وشهاباً يستضيئون به.

أراء النقاد في قصيدة أعشى باهله:

قال الإمام المبرد عليه رحمة الله ورضوانه، كانت العرب تقدم مراثي وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن، وكأنهم يرون ما بعدها من المراثي منها أخذت وفي كنفها تصلح. فمنها قصيدة أعشى باهلة ويكنى أبا قحافة، التي يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي، وكان أحد رجلي العرب. وهم السعاة السابقون في سعيهم.

وبهذه المقدمة أبدأ عرضي لهذه القصيدة الرائعة التي انتقاها الإمام الأصمعي رحمه الله في اختياراته.

والقرشي: في جمهرته، والإمام المبرد ذكر بعضها في كامله.

وقال البغدادي: "إنها درة قلما توجد "وإنها جيدة في بابها".

وإنني أرى في جمال هذه المرثية أن جمال الخصال والخلال التي أحلها شاعرنا على أخيه المنتشر بن وهب، والذي قتلته بنو الحارث بن كعب ثأراً بأحد فرسانهم، ويدعى العنبري بن صلاءة قتله المنتشر بصورة تليق وقتله في الجاهلية حيث قطع أنمله أنمله طالباً منه أن يغادر نفسه، فكان الجزاء من جنس العمل حيث سقط في أيدي بني الحارث، وهم من هم عن طريقة خيانة تعرضها المنتشر من أبناء عمومته في النسب القيسي. بني نفيل بن عمرو بن كلاب فأرشدوا بلحارث عليه فأمسكوه وهم معتمر، لذي الخامصة زيبت كانت تحجه قبائل خثعم ودوس، وأهل اليمن ففعلوا فعله بأخيهم العنبري بن صلاءة الحارث، فأصبح بضعاً عنصرين ورغم ظلم وجرم أخيه القتيل إلا أن الخلل التي سجى جثمان أخيه بها، جعلت سامع أبياته ومتذوقها يسقي أخيه غيث الغمام ويردد قائلاً: فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر رغم أنه من الله بعيد. فارتجل أبو قحافة بن وهب الباهلي المشهور "أعشى باهلة" أبياتاً في غاية الجمال، في رثاء أخيه المنتشر، كما عرضناها من قبل، وهي في غاية الإبداع. وفي أبيات الرثاء.

ونختار من أبيات الرثاء البيت الخامس:

إن الذي جئت من تثليث تندبه　　منه السماح ومنه الندى والغير[1]

إذ يعدد الأعشى محاسن أخيه المنتشر ويبكيه، بغير اسم من قوله غيرت الشيء متغير، وغير الدهر، أحداثه.

البيت السابع:

وراحت الشول مغبراً مباءتها　　شعثاً تغير منها النيّ والوبر

[1] القالي، الأمالي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢١٨-٢٢٣.

الشول: جمع شائلة، وهي الناقة التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها، وهو جمع على غير قياس مباءتها: مراحها التي تبيت فيه.

والني: بكسر النون وفتحها، الشعث، يريد أنها صارت هزيلة وهنا شبه الحزن الذي عم الكون هزلت معه النوق وجف كل شيء في الطبيعة.

وإلى شاعر أخر أجاد فن الرثاء وهو:

كعب بن سعد الغنوي:[1]

وترجمته ذكرت في الأصمعية رقم (١١٦) [2] في كتاب الأصمعيات، وانفرد به ابن هشام في التيجان ص٢٦٠ فإنه قال: "وفي ذي القار الأخر قتل أبو المغوار الغنوي، وهو مأرب بن سعد بن قيس بن الصعل بن قراد بن غني بن يعصر بن قيس عيلان وقتل معه أخوه المقداد، فقال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه مأرباً أبا المغوار وأخويه جبلاً والمقداد، وكان أبو المغوار فارس بن يعصر وجوادهم، فقال فيه أخوه كعب يرثيه بقوله، ثم ذكر البيت الأول من القصيدة قائلاً:

أخي ما أخي إنما الموت بالقرى　　فكيف، وهذي روضة وكثيب

ثم نمضي مع ابن سلام في طبقاته، فنجده يذكر سبعة أبيات من قصيدة كعب بن سعد قائلاً:

وقد قيل جهلاً: إنما الموت في القرى،　　فكيف وهاتا روضة وكثيب؟
وماء سماء كان غير محمة　　(ببرية تجري عليه جنوب)
ومنزلة في دار صدق وغبطة　　وما اقتال في حكم على طبيب

---

[1] د. ناهد أحمد الشعراوي، شعراء بني عامر الأمويون، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٢، ص١١٥-١١٦.

[2] د. فخر الدين قبادة، كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات، صنعة الأخفش الأصغر ٢٣٥، ٣١٠هـ، دار الفكر ، دمشق، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٧٥٨.

فلـــو كـــان ميـــت يفتـــدى لفديتـــه بمـــا لـــم تكـــن عنـــه النفـــوس تطيـــب

بعينـــي أوكلتـــا يـــدي، وقيـــل لـــي هـــو الغـــانم الجـــذلان حـــين يـــؤوب

وداع دعـــا: يـــامن يجيـــب إلـــى النـــدى؟ فلـــم يســـتجبه عنـــد ذلـــك مجيـــب

فقلـــت: ادع أخـــرى وارفـــع الصـــوت مـــرة لعـــل أبـــا المغـــوار منـــك قريـــب[1]

والأبيات بمعناها في عبارة نثرية أن الموت كامن فيها، فكيف إذن وهذه روضة، وهذا كثيب رمل، في حيث لا يمكن الموت في البنيان.

أما البيت الثاني وهذا أيضاً غدير من ماء السماء، في فلاة متراحبة، تصفق ماءه ريح الجنوب ولم تكثر عليه غاشية الناس وساكنهم، فتطمئن عندئذ عليه الحمى وتتلبس به.

ثم البيت الثالث وهذا أيضاً منزل نزلناه في أرض بريئة من العيب، غبطة من العيش، ولا طبيب بها يتحكم ويدعى، فكيف إذن غاله الموت وقد أبعدنا المذهب عنه؟

ثم البيت الرابع: يقول لو كان ميت يفتدي بأغلى مال لافتديته بكرائم ما تضن بها النفوس.

والبيت الخامس: ويؤكد على نفس المعنى ويقول لافتديته بعيني أو كلتا يدي، ولقال الناس إذا فعلت: هذا الذي غنم وفاز بما اشترى، وإذا آب إلى أهله، فقد آب بالخير كله، فهو خليق أن يفرح، وإن فقد عينيه، أو كلتا يديه، فهو كفاء لهما ويزيد.

ثم البيتين الأخرين: دعاني فاستجبته أي أحبت دعاءه، والندى السخاء والكرم.

موقف ابن سلام من شعراء المراثي ومصطلحاته:

[1] محمد ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، دار المدني بجده، ٢٠١٠، ص٢١٢-٢١٣.

يقول ابن سلام "وصيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر طبقات وهي تشترك مع قانون الطبقات العام في أنها، رباعية الشعراء، "وهم متمم بن نويرة، والخنساء، وأعشى باهله، وكعب ابن سعد.[1]

وتختلف عن الطبقات، بطبيعتها الخاصة وخروج أول شعرائها عن القاعدة التي قررها ابن سلام، من كتابه وهي "وليست تبدئتنا واحد في الكتاب نحكم له، ولابد من مبتدأ له" ذلك لأن تبدئة متمم بن نويرة مقصورة هذه المرة، يقول ابن سلام "والمقدم عندما متمم بن نويرة"

ونتسائل أما كان لابن سلام أن يدمج هؤلاء الأربعة في طبقة زملائهم الجاهليين والمخضرمين، ولاسيما أن القاعدة تنطبق عليهم أنهم قد اتفقوا معهم بشاعريتهم واختلفوا عنهم بنكبتهم الأليمة: فلم يحتملوا ألم الفقد، وصدقه الحرمان وصلابة الموت، فهرعوا إلى اللغة الرحيبة، ينغمون أحزانهم على أوتارها ويبثونها أنيناً باكياً، وكانت اللغة وفية لهم فأعطتهم جانبها الرقيق، بألفاظها الهادئة الداكنة وأنغامها الساكنة الحزينة، فكانت قصائدهم الراثية.[2]

وشعراء المراثي هم شعراء أجادوا البكاء ووجدوا في الحزن سلوى، وفي الرثاء نجاة من الموت غماً، فهم ينقذون أنفسهم من الموت، بالموت مع أعزائهم، فمن الظلم أن نعتبرهم مجرد شعراء مرهفي الحس ولكن يجب أن يفردوا ويصيروا طبقة بذاتها، لأنها أخلصت لفن بذاته، والأمثلة على حالاتهم موجودة بوفرة في أدبنا، فامرؤ القيس يبدع في الوصف، والنابغة في الاعتذار، وزهير في الحكمة، والأعشى في الخمر، وفي الإسلامين نجد الغزليين والمتزهدين والمتفلسفين.

فأمر ملموس أن يخلص الشاعر لفن معين، يحبه ويتجاوب معه، ويطول بنفسه فيهن ومهما قال في بقية أغراض الشعر، فهو يأتي عند غرض منه، ويتوقف متأنياً يحقق ذاته، ويتجاوب مع فنه مظهراً خصائصه الفردية، ومميزاته الشخصية، فليس للشعراء قائد يجمعهم في صعيد واحد، ولو قالوا جميعاً في فن

---

[1] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، الناشر دار مدني بجدة، نوفمبر ٢٠١٠، ص٢٠٣.

[2] العدد الثاني والعشرون، مجلة الصالح، بقلم سهير القلماوي، يناير ٢٠١٦.

واحد وقاعدتهم الوحيدة هي الفروق الفردية بين القدرات الفنية، فإن ابن سلام ناقد بصير مدقق حين ينظر إلى متمم وزملائه نظرة خاصة، لكونهم أصحاب فن واحد برعوا فيه لظروف واحدة جابهتهم وشاعرية واحدة، ملكت عليهم نفوسهم. وليس في الطبقة جديد في منهجها سوى ملاحظتين، برزتا في الحديث عن متمم. أولاهما التي أشرنا إليها، وهي التنويه بأن متمم في أول القائمة مقصود، والثانية حرص ابن سلام على إيضاح رأي البصرة وعلمائها في متمم بن نويرة وقصته، مع خالد ابن الوليد حيث قتله خالد وتزوج امرأته وأن أبا بكر صفح عن خالد وقبل تأوله، أدخل عنصراً حساساً في القضية، وأشغل حولها اللفظ، ومن هنا سمع منها ابن سلام أقاويل من أن يتعسف الطريق ويتصدى الركب فنراه يعرض ما وجد من رأي في حيدة، وبعد أن ينتهي في معالجة القصة يقول: وبكى متمم مالكاً فأكثر وأجاد.[1]

فهو يطبق عليه قاعدته، دليل الفحولة في الشعراء، كثرة جيدهم وجودهم كثير هم فيما ينحون من شعر.

وعند الخنساء:

اختفت أراء ابن سلام وروحه، واقتصر مجهوده فيها على أن قال: أنها بكت أخويها صخر ومعاوية، فقال: في صخر كلمتها التي تقول فيها "وذكر لها بيتاً وقالت في معاوية "وذكر بيتاً وقال: ثم قالت في صخر الكلمة الأخيرة وذكر بيتاً.

وشبيه بهذا أحدث مع أعشى باهلة، الذي رثى المنتشر بن وهب الباهلي، قتيل ابن الحارث بن كعب، فقال في كلمته "وذكر ستة أبيات"

وأيضاً فعل مع كعب بن سعد الغنوي، والذي رثى أخاه أبا المغوار بكلمة قال فيها "وذكر سبعة أبيات"، ولن نثقل على ابن سلام وكفانا أنه نبهنا إلى ضرورة ملاحظة ميول الشاعر إلى غرض فني معين، لاستعداده أو لظروف وضع فيها رثائه للتمكن من فن بذاته.

---

[1] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص٢٠٩.

لقد استهدف ابن سلام في كتابه ترتيب الشعراء في طبقات، ولم يستهدف إصدار أحكام على نصوصهم الشعرية، فقد يورد ما ذكره معاصروه وسابقوه من أحكام على الشعراء، وإن أصدر أحكام فهي غير مسببة، ولا يدعمها بشواهد من النصوص الشعرية، حينما نقرأ في مقدمة ابن سلام نجده يستخدم مصطلحات نقدية غير محددة المفاهيم، مثل قوله: شاعر خنذيذ، وفي وصف الشعر.

وهو يصف الشعر الجيد بأن عليه طلاوة، ويقول شدة الأسر وشدة المتون ورقة الحواشي، وهذه أحكام غير دقيقة وغير محددة المفاهيم، وأثر البداوة بادٍ عليها ومن ذلك أيضاً وصفه للشعراء بالمقاحيم والثنيان وهذه صفة للأبل. [1]

وكذلك البداوة الشديدة في استخدام هذه المصطلحات، ونسجل لابن سلام في كتابه محاولته التطبيقية أنه يدخل في تاريخ الأدب اتجاهه نحو التبويب (جعله أبواب "طبقات") واهتمامه ببعض الظواهر الأدبية، كأن جمع شعراء القرى في طبقة، وأصحاب المراثي في طبقة واحدة. لوجود أثر نفس واحد في وجداناتهم أثر الفقد فأجادوا الرثاء. وجمعه لشعراء القبائل كبني عامر – وبني مرة وكذلك توجد مزية في كتاب ابن سلام وهي اهتمامه بالجانب الموسيقي في الشعر، وذلك في ابرازه للإقواء في شعر بعض الفحول وكلامه على السناد والزحاف والإيطاء، وإيراد أمثلة من ذلك أيضاً. [2]

وأيضاً أفراده طبقة مستقلة للرجاز أصحاب الرجز، وهي الطبقة التاسعة من فحول الإسلام، ويبقى له فضل السبق، في جمع التراث النقدي المتمثل في آراء الأدباء والعلماء واللغويين، فيعد الكتاب وثيقة نقدية وأدبية كما يعد وثيقة تاريخية، لما اشتمل من أخبار كثيرة في الجاهلية والإسلام.

---

[1] د. ناهد أحمد الشعراوي، منهج ابن سلام في الطبقات "تقويم نقدي"، مجلة كلية الآداب عام ٢٠٠٨ ، ص٣٥٢

[2] المرجع السابق ص٣٥٣.

ونسجل لابن سلام أمانة الرواية، فقد كان يتحرى الدقة في نقل النصوص الشعرية والنثرية مسندة إلى قائلها، ولا يذكر إلا ما كان واثقاً منه، وما يصح عنده من شعر، في اعتقاده أن الشعر الجاهلي يخلو من وضع.[١]

وله كذلك فضل السبق في محاولته للتأريخ الشعري للشعراء، تبعاً لمنهج حدده لنفسه، وفق فيه بقدر كبير، وجانبه التوفيق بقدر أقل، ودراسته للشعراء تعد في النقد العربي بالقياس لثقافته ومناهجه الأدبية والنقدية بنوع خاص دراسة كاملة في عصره.[٢]

نتائج البحث:

نلاحظ أن ابن سلام الجمحي – اعتمد على ذوقه في تقسيم طبقات الشعراء – وكانت قاعدته في تقسيم الطبقات وفقاً لثلاثة اتجاهات هم:

- **التقسيم الزمني**: قسم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين، أما المخضرمين فقد وزعهم على سائر الطبقات.
- **ترتيب مكاني**: جعل شعراء مكة في باب – وشعراء المدينة – شعراء البحرين – شعراء اليمن.
- **ترتيب موضوعي**: – شعراء المراثي – شعراء الغزل وهكذا...

وقد اتبع سلوكاً منهجياً في تقسيم الشعراء يختلف عن سابقيه. وكانت عليه بعض الملاحظات في منهجه. وهي افتقاره إلى تحليل النصوص الأدبية، وعدم إظهار مواطن الجمال، والقبح فيها، وهو رأي د.طه إبراهيم ومتفق معه د. محمد مندور[٣]

اهتم ابن سلام بتوثيق النص الأدبي والرواية مما هو تحت قضية الوضع والانتحال.

---

[١] د. ناهد أحمد الشعراوي، منهج ابن سلام في الطبقات "تقويم نقدي"، مجلة كلية الآداب عام ٢٠٠٨ ، ص٣٣٧

[٢] المرجع السابق، ص٣٥٥.

[٣] د. محمد مندور، النقد المنهجي عند العربي، مكتبة النهضة بمصر، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م، ص٢١

قضية الاسناد عنده في الرواية الأدبية يتولها علماء الحديث في الإسلاميات:

اهتم ابن سلام بظاهرة الرواية الشفوية وتشكك في حماد وابن اسحق راوي السيرة وجعل حماد من الرواة المزيفين في مقدمته، وجعل ابن اسحق لا علم له بالشعر يحمله فيؤديه.

- قضية اللين في الشعر كانت من شبه الانتحال في الشعر الذي فيه لين دلالة على نحله.
- الأسس المحورية عند ابن سلام في قسمة الشعراء، الزمان، المكان، الموضوع الشعري.

و نلاحظ في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام في دراسته للشعراء أن آراءه قليلة في الكتاب، ويغلب على كلامه الرواية عن العلماء المشهورين كأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب. [1]

ولكننا نجد في اختياره لشعراء المراثي. أنهم جميعاً في زمن الاسلام عند ظهوره في جزيرة العرب

اختياره لمتمم بن نويرة في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، وقد رثى متمم بن نويرة آخاه مالك بن نويرة، عندما قتله خالد بن الوليد في زمن الردة، أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والخنساء: أتى بأشعارها التي رثت فيها أخاها صخر ومعاوية وقد ماتا على الجاهلية. ولم ترثي أبناءها الأربعة الذين استشهدوا في الاسلام.

أعشى باهلة: الذي رثى أخاه المنتشر حينما قتل وهو معتمر.

وكذلك كعب بن سعد رثى أخاه أبا المغوار.

ونرى أخيراً أن شعراء المراثي الأربعة كانت أشعارهم في رثاء الأخوة، فكل شاعر قد رثى أخاه لأن الأخ لا يعوض، فقد تعوض الزوجة والابن، لكن لاعوض عن الأخ كما قال الشاعر العراقي التميمي [2]:

---

[1] د. ناهد أحمد الشعراوي، منهج ابن سلام في الطبقات "تقويم نقدي"، مجلة كلية الآداب عام ٢٠٠٨ ، ص٣٤٨

[2] ديوان العرب وتحولاته في مهرجان المربد الشعري ،سنة ١٩٨٥م. ص٢٩

أَخَاكَ أَخَاكَ إنَّ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إلَى الهَيجَا بغَيرِ سِلاَحِ

المصادر والمراجع

- ابن أبي الأصبع المصري، **تحرير التحبير**، تحقيق د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، ١٩٩٥م.
- ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، تحقيق: د. محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨- حققه د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠.
- ابن هشام، **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد محي الدين، ج٤، دار التراث، القاهرة.
- أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٩، الجزء الخامس عشر.
- أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، حققه: علي محمد البجاوي، الناشر، نهضة مصر، ١٩٨١.
- أبو علي القالي، أمالي القالي، حققها: محمد عبد الجواد الأصمعي، ١٣٤٤هـ، ١٩٢٦م.
- حماسة البحتري، **كمال مصطف**، مصر، ١٩٢٩، بيروت.
- د. بدوي طبانة، **قدامة بن جعفر والنقد الأدبي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- د. شوقي ضيف، **الرثاء وألوانه**، دار المعارف، طبعة رابعة، القاهرة، ١٩٨٧.
- د. عثمان سليمان موافي، **دراسات في النقد الأدبي**، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣.
- د. مصطفى عبد الشافي، **شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة** فنية، الدار الجامعية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.
- د. ناهد أحمد الشعراوي،

١- منهج بن سلام في الطبقات "تقويم نقدي"، بحث منشور في مجلة كلية الاداب عدد خاص **"أزمة المنهج في الدراسات الانسانية"** عام ٢٠٠٨م.

٢- شعراء بني عامر الأمويون، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٢.

- **ديوان أبي تمام**، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ج١، ١٩٢٢م.

- **ديوان الخنساء**، مطبعة التقدم التجارية، الهيئة العامة، مكتبة الاسكندرية، ١٣٤٨هـ.
- **ديوان ليلى الأخيلية**، جمعة خليل العطية، بغداد، دار الجمهورية، ١٣٥٧هـ.
- سمير ابراهيم، **الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء**، أشرقت للنشر، القاهرة، ٢٠١٥.
- طه ابراهيم، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري**، القاهرة، ٩٣٧هـ.
- عبد العزيز الميمني ، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ط١، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٣٥.
- عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، حققه: عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، ١٩٩٨.
- فخر الدين قبادة، كتاب الاختيارين المفضليات، والأصمعيات، صنعة الأخفش الأصغر، دار الفكر، دمشق سنة ١٩٩٩م، ط١.
- كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، ١٩٧٧م، ج١.
- مأمون بن محي الدين، **البحتري دراسة نقدية حول فنونه الشعرية**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٩٩٤.
- محمد بن سلام الجمحي – **طبقات فحول الشعراء** ، السفر الأول، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، نوفمبر، ٢٠١٠.
- محمد زغلول سلام، **تاريخ النقد الأدبي**، ج١، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.
- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، مكتبة النهضة مصر، القاهرة، سنة ٢٠٠٣.
- المرزباني، معجم الشعراء، محقق فاروق اسليم، دار صادر ، ط١،سنة٢٠٠٥م.